

الملاحظات

قام حضرة بهاء الله بذلك الإعلان بواسطة إنزال لوح خاص عُرف بـ "سورة الأمر". عرض فيها بجلاء دعوته وبيّن طبيعة رسالته. وكلف ميرزا آقا جان، كاتب وحيه، بتسليم السورة شخصياً لميرزا يحيى، ثم قراءتها بصوت عال أمامه ومطالبته بالإجابة عليها بنحو قاطع. طلب ميرزا يحيى مهلة من الوقت ليتمكن فيها من التأمل قبل الإجابة، فأعطي له ما أراد. في اليوم التالي أجاب بأنه هو أصبح صاحب وحي سماوي، ويتعين على كل سكان العالم إتباعه والولاء لشخصه.

إن ادعاءً كهذا من جانب شخص كان تجسيدا للخداع والباطل استحق غضب الله، واعتُبر بشكل واضح علامة الافتراق النهائي بين حضرة بهاء الله وميرزا يحيى. يجب علينا التذكر بأن أغلب المؤمنين في أدرنة كانوا موالين لحضرة بهاء الله ويدينون له بإخلاص متفان. أما القلة الباقية فكانوا نفرًا قليلاً من الأشرار مشيري الفساد والفتن، وآخرين من ذوي النفوس الضعيفة المتذبذبة. كان الاتصال والمعايشة بينهم وثيقاً بحيث سرعان ما وُلد فتناً وامتحانات كبرى خلال تلك الفترة. ذاق أصحاب حضرة بهاء الله مر العذاب والأحزان منذ إبعادهم إلى أدرنة نتيجة لحركات ميرزا يحيى وزمرته وتصرفاتهم. بنزول "سورة الأمر" وردّ فعل ميرزا يحيى عليها وما تلاها، دخل الخلاف

والصراع بين قوى النور والظلام مرحلة الافتراق والفصل. كما فعل باعتزاله في كردستان عندما انصرف المتشككون (البابيون) إلى أفعال وتصرفات مخزية هادمة لأمر الله، قام حضرة بهاءالله، الذي كان مقيماً حينئذ في بيت "أمر الله"، بالانسحاب مع أسرته إلى دار مجاورة لبيت رضا بيك. كانت قد استؤجرت بأمره، ورفض مقابلة أي شخص. كان ذلك في العاشر من آذار سنة ١٨٦٦م. أما سبب اعتكافه، والذي استمر لفترة قصيرة لحسن الحظ، فكان مماثلاً للذي دفعه لعزله في كردستان قبل ذلك بعقد من السنين، ألا وهو تخفيف التوتر وتهديئة مشاعر العداة التي كانت بذرت في قلوب بعض الأتباع من قبل ميرزا يحيى وأججت نيرانها بما فعله مؤخراً.

كان لعزلة حضرة بهاءالله في تلك المناسبتين أثر عنيف في نفوس المخلصين والمعرضين. فقد تُركت عصابة المنفيين أمام وضع يلزمهم الاختيار بينه وبين ميرزا يحيى. بالنسبة للمؤمنين المخلصين الذين تغدّت أرواحهم بمدد فضله الدائم فإنهم وجدوا أنفسهم وقد مُنعوا فجأة عن منبع الحياة، وانطفأ النور من وسطهم تاركاً أرواحهم هائمة في عالم الظلمة والحرمان. بغتة وجد تلاميذ حضرة بهاءالله الحقيقيون، وعشاق جماله، أنفسهم كالنبت الذابل المحروم من الماء والنور، وقد هبطت معنوياتهم وما من سلوى لمواساتهم حتى أنهم لم يكونوا ليترددوا بفداء أرواحهم وما ملكوا لو كان فيه عودة الوصل بمحبوبهم.

فيما يلي وصف موجز بخصوص عزلة حضرة بهاء الله في بيت رضا بيك نقله النبيل عن آقا كلیم، الأخ المخلص الوفي والنصير القوي لحضرة بهاء الله، والذي حمل مع حضرة عبدالبهاء شتى الأعباء والمسؤوليات إبان فترات الشدة والافتتان، لا سيما خلال فترة عزلة حضرة بهاء الله في بيت رضا بيك:

‘شهد ذلك اليوم الفزع الأكبر. فقد ناح الأصحاب جميعاً على احتجاب الجمال المبارك عنهم.’

كلمة أخرى تركها للأجيال أحد أصحاب حضرة بهاء الله الموجودين وقتئذ يصف فيها مشاعر بقية الأحباء في تلك المحنة:

‘تلك الأيام امتازت بالهرج والمرج. فقد غلبتنا الحيرة واعترانا الخوف العظيم من أن نُحرم على الدوام من نعمة محضره.’

حتى الأعداء والنفوس المتذبذبة الذين انحازوا مع ميرزا يحيى، وغالباً ما تشرفوا بمحضر حضرة بهاء الله، فكانوا في خيبة وخسران نتيجة لعزله. كيف لا وقد وجدوا أنفسهم محرومين من يد حضرة بهاء الله التي وجدوا في ظل هديها كل حماية ورعاية وعطف رغم غدرهم وعدم وفائهم. لقد وجدوا أنفسهم في وسط فتنة تسوقهم سراعاً

صوب مصيرهم المحتوم وليس ما يعتمدون عليه سوى جهودهم الشخصية. بمرور الزمن استمر حبل مكرهم وكيدهم يلتف حول أعناقهم حتى هلكوا هلاكًا مخزياً.

عندما انتقل حضرة بهاء الله من بيت "أمر الله" إلى بيت رضا بيك، أمر أخاه آقا كلیم بتقسيم كل أثاث المنزل بما فيه لوازم الفراش وأدوات المطبخ إلى قسمين متساويين وإرسال قسم إلى منزل ميرزا يحيى، وكذلك ضمان استلام الأخير استحقاقه من إعانة الدولة المالية المخصصة للمنفين. أشار أيضًا بتسليمه عدة أشياء خاصة بحضرة الباب مثل خواتيمه وأختامه وبعض المخطوطات. ذلك لأن ميرزا يحيى كان يتوق دومًا لامتلاك هذه الآثار العائدة لحضرة الباب والتي كان حضرته قد بعث بها، قبل استشهادها، خصيصًا لحضرة بهاء الله.

عقب اعتكافه في بيت رضا بيك، أخذ حضرة بهاء الله خادمًا واحدًا فقط لنفسه وأسرته. أمر آقا كلیم أيضًا باتخاذ واحد من الأصحاب لخدمته، وتعيين أي واحد من المؤمنين قد يختاره ميرزا يحيى خادمًا لأهل بيته. اختار الأخير الدرويش صدق علي،⁽¹⁾ أحد أكثر أصحاب حضرة بهاء الله إخلاصًا. لما أُخبر بهذا، وجّه حضرة بهاء الله آقا كلیم ليخبر الدرويش بالذهاب إلى ميرزا يحيى والقيام على خدمته بكمال الإخلاص والأمانة، مبيّنًا له بأن ما من أحد من المنكرين بقادر أن يسلبه ما يكتنه بقلبه

(1) للمزيد من قصة حياته راجع "تذكرة الوفاء"؛ والمجلد الأول من "ظهور حضرة بهاء الله"، الصفحة 306؛ والصفحات 321-324 من هذا المجلد.

من حب للجمال المبارك. كما أوصى الدرويش بتلاوة "لوح ليلة القدس"⁽²⁾ النازلة في حقه، مطمئناً إياه بأنه عند قراءته هذه المرة سيتمكن من فهم ما خفي من معانيه.

ما كاد آقا كلیم يخبر الدرويش بتعليمات حضرة بهاءالله حتى خر ساجداً تعبيراً عن خضوعه وامتنانه لمولاه، وقال بأن هذه الرسالة (الشفوية) من حضرة بهاءالله ولطفه كانا كافيين لرفع معنوياته، وأنه سيظل سعيداً ولو قدّر له العذاب والعناء طيلة حياته. خلال فترة خدمته لميرزا يحيى، عرض الأخير عليه مبلغاً من المال لكن الدرويش رفضه قائلاً له بأن حضرة بهاءالله ضمن له رزقه، وبأنه قبلَ خدمة ميرزا يحيى فقط تلبية وإطاعة لأمر حضرة بهاءالله وليس في سبيل المال. لكن لم يقدر الدرويش أن يبقى طويلاً في خدمة ميرزا يحيى، إذ تدخلت سلسلة من الأحداث والأمر لإنقاذه من تلك المهمة المقيتة. وكما سنرى فيما بعد، بعد اعتكاف حضرة بهاءالله في بيت رضا بيك بقليل، امتنع كافة أتباع حضرة بهاءالله عن معاشرته ميرزا يحيى امتناعاً تاماً وتطهروا من خبث شيطنته.

(2) انظر الصفحة 184.

يوم الفصل الأكبر

كان اعتكاف حضرة بهاءالله في بيت رضا بيك وامتناع التقاء المنفيين من المؤمنين بحضرته، قد خلق جواً سمح لبعض النفوس الخبيثة من المنكرين بالانقلاب علناً ضد حضرته والانضمام إلى ميرزا يحيى. فقام السيد محمد الإصفهاني، الذي ما فتئ حتى ذلك الحين على اتصال بحضرة بهاءالله ومعاشرته أتباعه من الأحياء، بالانضمام جهراً إلى ميرزا يحيى، الناقض الأكبر لعهد حضرة الباب وميثاقه، وقد شجعه على ذلك غياب حضرة بهاءالله فخيّل للسيد محمد بأن الساحة قد خلت له ليفعل ما يشاء. تلا ذلك فترة من النشاط المكثف لعب الدور الرئيس فيها كل من ميرزا يحيى والسيد محمد. وبعون من حلفائهما ورفاق السوء حرروا رسائل محشوة بالمفتريات والأباطيل ضد حضرة بهاءالله وأرسلوها لتنتشر بين المؤمنين في إيران والعراق.

سببت هذه الرسائل كثيراً من الحيرة والخلاف لدى بعض البايين في إيران. أثار ذلك القذف والافتراء في بعض الأفراد وفقدوا إيمانهم تماماً. هناك من البايين من كتبوا لحضرة بهاءالله راجين الهدى والاستنارة. جواباً على ذلك نزلت عدة ألواح في تلك الفترة. ولكن بعضاً آخر من الأحياء بلغوا مرحلة الإيقان في دينهم. هؤلاء النفوس أقدموا، تأثراً من انتشار تلك الرسائل الشريفة، على اتخاذ إجراء مضاد وذلك بمؤازرة

آخرين كان حضرة بهاءالله قد اختارهم خصيصاً، مثل النبيل، للقيام على نصرته أمره. فتمكنوا من الدفاع عنه بكل جدارة ضد تلك النفوس الأنانية بين أفراد الجامعة البابية ممن عقدوا العزم على إحداث الفرقة وتمزيق أمر الله.

لقد كشف ميرزا يحيى عن نفسه، بأفعاله، أمام الجامعة البابية عن عصيانه ونقضه للعهد المكين الذي أخذه حضرة الباب بحق "من يظهره الله"، ذلك العصيان الذي حرص حضرة بهاءالله كثيراً على كتمانها والتستر عليه. بدأت الآن تنزل على المؤمنين الفتن والامتحانات التي أنبأ بها حضرة بهاءالله في ألواح. لقد خلقت أخبار عصيان ميرزا يحيى وإعراضه، ذلك الذي كان خليفة حضرة الباب الاسمي، اضطراباً عظيماً بين البابيين، وعملت على إعلان الافتراق التام والفصل بينه وبين أخيه اللامع.

في هذه الفترة عهد ميرزا يحيى إلى أحد أصحابه بمجموعة وثائق لينشرها بين البابيين في إيران. لكن عندما علم هذا الرجل بمحتواها رفض تلبية الطلب وقام بدلاً من ذلك بإطلاع بعض المؤمنين المخلصين (لحضرة بهاءالله) عليها. احتوت هذه الأوراق على عدة أقاويل باطلة ومفتريات تتهم حضرة بهاءالله بالأفعال المنكرة والجرائم نفسها التي ارتكبتها ميرزا يحيى. أخيراً قدّر لها أن تقع في أيدي أتباع حضرة بهاءالله في أدرنة فدهشوا لدى رؤيتها من سلوك ميرزا يحيى المخزي.⁽³⁾

(3) بالرغم من علمه بمحتوياتها، أشار حضرة بهاءالله على حاملها بتنفيذ تعليمات ميرزا يحيى وتسليمها.

كأن لم تكفه أعمال الخيانة هذه، فقد قرر ميرزا يحيى توسيع نطاق تمرده إلى دوائر لم يطأها من قبل. واعتقاداً منه أن حضرة بهاءالله سيظل متحملاً كل تهمة باطلة وكل قدر من سوء المعاملة بالصبر والتسليم، فقد بعث عريضة إلى خورشيد باشا، والي أدرنة، ونائبه، عزيز باشا. دبح تلك المراسلة، التي شارك الوالي بها حضرة بهاءالله، بلغة وأسلوب متذلل وتضمنت ادعاءات باطلة ضد حضرة بهاءالله تهدف النيل منه بنظر الوالي الذي كان من أشد المعجبين بحضرته. إحدى اتهامات ميرزا يحيى الباطلة كانت أنه حُرِم من استلام حصته من معونة الحكومة المخصصة لحضرة بهاءالله وجماعته من المنفيين. دعماً لذلك الادعاء أرسل إحدى زوجاته لمقابلة الوالي والشكوى لديه بأن مخصصات زوجها من الإعانة قد منعها حضرة بهاءالله عنهم مما أدى إلى اقتراب أطفاله من المجاعة.

كما سبق أن ذكرنا، فإن الحقيقة هي أن حضرة بهاءالله كان دوماً يعيل ميرزا يحيى وعائلته. حتى عند اعتزاله في بيت رضا بيك، كان قد رتب لميرزا يحيى ليستلم كامل حصته من معونة الحكومة.

وصل الحاج ميرزا حيدر علي إلى أدرنة عقب هذه الأحداث الشائنة ببضعة أشهر وفاز بمحضر حضرة بهاء الله عدة مرات، وقد كتب بخصوص عريضة ميرزا يحيى هذه الكلمات:

وكذلك عندما قام أزل على الإعراض والاعتراض والعناد والاتهامات والمفتريات على جمال المقصود⁽⁴⁾ بكل قوى إبليس، كتب عريضة إلى والي أدرنة... رأينا جميعنا⁽⁵⁾ تلك الرسالة. افتتحها بهذه العبارة: 'روحي وجسمي لك الفداء.' ثم مضى يقول: 'يا أيها العزيز⁽⁶⁾ قد جئناك ببضاعة مزجاة أوفٍ لنا الكيل.' ثم يستمر في اتهامه الباطل لجمال القدم بقطع معاشه عنه.

كان عنوان عريضته ومقدمتها وشكواه تبرهن كلها على أن الحق لا يمكن أن يشتهه على الإنسان، وليس هناك شبه بينهما. نرى الفرق، على سبيل المثال، بين الاثنين في هذه الكلمات النازلة من قلم جمال القدم والاسم الأعظم مخاطباً السلطان عبد العزيز⁽⁷⁾: "يا رئيس اسمع نداء الله الملك المهيمن القيوم. إنه ينادي بين الأرض والسماء ويدعو الخلق إلى المنظر الأبهي."

(4) حضرة بهاء الله.

(5) يعني هو نفسه وعدد من أتباع حضرة بهاء الله.

(6) عزيز باشا، نائب والي أدرنة.

(7) هذه السورة موجهة في الواقع إلى عالي باشا، الصدر الأعظم (رئيس الوزراء).

في هذه السورة المباركة ينبئ بزوال مُلك السلطان من يده وسقوطه عن عرش سلطنته... ولنعد لحديثنا: لقد أثبت حضرة بهاءالله للوالي، بواسطة مندوب كلفه بالمهمة، بأن مفتريات ميرزا يحيى كانت باطلة وشرح له في رسالته، كيف كان الهدف منها أذيتّه والمسّ بمقامه...

انتشرت اتهامات ميرزا يحيى إلى أرجاء واسعة قاصية. كتب حضرة شوقي أفندي بهذا الخصوص:

... وسرعان ما بلغه (حضرة بهاءالله) أن ذلك الأخ نفسه (ميرزا يحيى) قد أرسل إحدى زوجاته إلى سراي الحكومة تشكو من أن زوجها قد اغتُصبت حقوقه، وأن أولادها على وشك الهلاك جوعاً، وهو اتهام ذاع أمره وشاع طويلاً وعرضاً حتى بلغ الآستانة، وأصبح مصدر حزن شديد لحضرة بهاءالله لأنه صار موضوعاً للقليل والقال ومثاراً للتعليقات اللاذعة في الأوساط والدوائر التي تأثرت من قبل بمسلكه النبيل الوقور الذي سلكه في تلك المدينة.

في لوح نزل في حق الشيخ سلمان،⁽⁸⁾ يصف حضرة بهاء الله لوعة قلبه نتيجة ما اقترفته يدا ميرزا يحيى من شنيع الأعمال. ويعدد فيه مفترياته بشأن حصته من المعونة الحكومية، مقررًا بأن هذه كانت دومًا توزع بين المنفيين، ويذكر بأنه لولا مسؤوليته تجاه أصحابه من المؤمنين لما قبل نفسه باستلام معونة الحكومة رغم ما كان سيؤدي ذلك العمل من مصاعب وضيق. كما سنرى فيما بعد، فإن حضرة بهاء الله، خلال فترة اشتداد حملة المفتريات، قد رفض استلام هذه المعونة المالية واضطر لبيع بعض ممتلكاته لتوفير قوت معيشته.

إن إحدى ملامح حياة حضرة بهاء الله أنه رغم ولادته في إحدى أغنى الأسر في إيران، وعاش عدة سنوات في محيط باذخ، إلا أنه قضى أربعين عامًا من بعثته في تقشف لم يعهده قط في أوائل عمره. في مدة العامين التي عاشها في عزلة معتكفًا في جبال كردستان، كان في منتهى الفقر بحيث لم يكن لديه غير الحليب غذاء لأيام عديدة. كذلك الحال في أيامه في بغداد التي عاش فيها حياة بسيطة اضطر خلالها أن يتحمل كثيرًا من الضيق والحرمان. يؤكد ذلك في أحد ألواحه: "أتى على جمال القدم في العراق حين من الدهر... لم يكن له فيه سوى قميص واحد، يُغسل ويُجفف ويُلبس من جديد." (١٠) وكذلك في أدرنة وعكاء قبل بروج التسليم ما فرضه عليه عدو قاس من مصاعب وحرمان.

(8) انظر الفصل الثالث عشر وكذلك المجلد الأول، الصفحات 115-120.

مع أن كثيراً من المؤمنين قدّموا لحضرته الهدايا، بدافع من حب متفان، وغالبًا بتضحية ما هم بحاجة له، إلا أنه دأب على توزيع مثل تلك الهبات على الفقراء بينما عاش نفسه في منتهى البساطة. فمثلاً ترك حسين آشچي، الشاب الكاشاني الذي تطوع لخدمة حضرة بهاءالله كطباخ في أدرنة ثم عكاء فيما بعد، هذا الوصف للأيام التي قضاها في بيت "أمرالله" في أدرنة:

كان ذلك البيت (أمرالله) كبيراً جداً وفخماً. في جزئه الخارجي الواسع اعتاد أحياء حضرة بهاءالله على الاجتماع واللقاء في انجذاب ونشوة من فيض جمال قدسه الفريد... لكن أسباب العيش كانت ضئيلة لضيق الحال وقلة المال. ففي معظم الأحيان لم يكن هناك ما يقدم لحضرة بهاءالله من طعام غير الخبز والجبين. كنت أجمع كل يوم شيئاً من اللحم والزيت وأحفظه في مكان خاص حتى يكون لديّ مقدار منه يكفي لطبخ وجبة. عند ذلك كنت أدعو حضرة بهاءالله لتناول الطعام وهو جالس على عشب الحديقة. استطعنا بعد فترة توفير بعض المال لشراء بقرتين ومعزاة. كان الحليب واللبن منها يقدم لأهل البيت المبارك...

في الشتاء كان هناك موقد⁽⁹⁾ في كل غرفة وكنت مسؤولاً عن إيقاد الفحم. وللتوفير في الاستهلاك كنت أزن مقدار الفحم لكل موقد. لما أوصل أحدهم خبر ذلك لحضرة بهاء الله بعث في طلبي وتفضل قائلاً: 'سمعت بأنك تعدّ قطع الفحم عدداً عند تزويد كل موقد!' قالها مبتسماً وقد سرّ بما سمع، وعبر عن موافقته بأن التوفير كان ضرورياً في منزل كبير.

بسبب أفعال ميرزا يحيى والسيد محمد الضارة، اضطر حضرة بهاء الله لإنهاء اعتكافه الذي دام قرابة شهرين، والخروج لحماية أمر الله من هجمات الخائنين. في هذا الوقت قام حضرة بهاء الله بطرد السيد محمد من مجلس أتباعه وسرعان ما تبعه "الفصل الأكبر" الذي كان الانفصال الواضح ما بين أتباع حضرة بهاء الله وأتباع ميرزا يحيى، ذلك الافتراق الذي أصبح علياً. أحدثت فترة انزواء حضرة بهاء الله لمدة شهرين أثراً أشبه بفراغ روحي لجماعة المنفيين في أدرنة. فقد خلقت امتحاناً عظيماً كان نتيجته أن أظهر كل واحد ما كان عليه من الإخلاص والإيمان. فلما وقع الفصل عرف كل شخص موقعه والجانب الذي ينتمي إليه. على أية حال، فإن الغالبية العظمى من المنفيين ثبتوا في ولائهم لحضرة بهاء الله وأمره. لم يطرد غير عدد ضئيل ممن تبعوا ميرزا يحيى من محضر حضرة بهاء الله. وانحازت عدة نفوس من ذوي المطامع والشخصيات الأنانية في إيران إلى ميرزا يحيى. بذلك أمدّوه بمزيد من

(9) وعاء متنقل من الحديد يوقد فيه فحم الخشب للتدفئة في الشتاء.

الدعم، وكما سنرى لاحقاً، فإنه بتحريض من السيد محمد، كثف من نشاطاته الشريرة وبذر بذور الفرقة والفساد لدى السلطات في عاصمة الإمبراطورية العثمانية.

"كتاب ظهور حضرة بهاءالله، أديب طاهرزاده، المجلد ٢"